باسترانا*،

الأبسطة المرسومة لألفونسو الخامس البرتغالي

تجعيدات الخيط ترتعش في العينين،
السطح يتجمد في موجات،
الوجوه دون ثبات،
شديدة الاختلاف عن الرسم،
وفي الوقت نفسه كما لو كان بسبب العدوى،
لا أتمكن من تذكر الشخصيات في ألواح
القديس بيسنتي دي فورا، بالكاد أتذكر
إحساس الصباح،
هدوءه الذي لنوافذ زرقاء.
لحم الابطال ينسل.
عندما انتصر ألفونسو في تلك المعركة الإفريقية،
أمر برسم الأبسطة هذه كي تصاحبه للأبد،
مادة متحركة للمجد،
أضاعها في معركة الثور.

* مدينة إسبانية تقع في كاستيا لا مانشا. م.

-أتخيله هناك، من أعلى نقطة في برج المراقبة
الذي يطل على بيجا ديل دويرو،
مثلما كنا ننظر للنهر الطافح.
فقدنا حينئذ فرصتنا في وجود آخر،
لكن الغنيمة هجرت دون رمز على أسوار الكنيسة.
مات المرشد السياحي منذ ثمانية شهور
ودرست أرملته الحقب والملوك وتقوم بخلطهم في عجينة
حيث تميز فقط ما بين الأميرة الأسطورية القرصانة وبين
مهارة اليد مع الإبرة -كل شخص كان يخيط مترا مربعا.

تنزلق العيون في اندفاع لا يتوقف،
تتزحلق الآن بسبب الموجات المدببة
الأزرق المصفوف في حلقات،
أزهار الحدائق، ضفيرة السفن المتينة المثلثة،
السلال الصغيرة الملونة لمراقبي السفية،
لحم الأبطال ينسل.
أفكر في بعض الأصدقاء من الجانب الآخر،
أدعوهم هنا لاقتسام الحنق الأبله،
حمى الغضب؛ لكنني أتوقف بعد ذلك
عند عرب طنجة بصررهم وأطفالهم محمولين على الأكتاف،
هاجرين بيوتهم في جلبة،
تاركين للسروج الأنيقة للوحوش أن تلمع،
وأن تحبك الملحمة بالخيط.

يدخل البعض عبر إحدى ضفتي القماش المرسوم
وآخرون يبحثون عن الضفة الأخرى،
ربما نحو مخيمات الصحراء،
مثل أناس اليوم بأقمشتهم الزرقاء وعيونهم اللامعة،
الذين بين الرمال يشتاقون إلى رمالهم.
وصلة لحركة المرور الكثيرة،
ملمس الحياة،
سلسلة من الأسماء الجوف: قشتاليون وبرتغاليون
وريفيون وصحراويون؛
هذا هو التفاؤل لـــ نينو جونسالبيس*،
الذي رسم على الرايات الحمر عجلة الحظ
محاطة بالدموع، لكن البخت هو الغضب.
نصعد مترنحين منحدرا، ساندين أحيانا يدنا على الأرض،
نحو كهوف المتنسكين؛ نعرض الطريق ورشاقة النعجات
والحمار الذي يقوده الراعي. من الأعلى صفوف البيوت،

* رسام برتغالي من القرن الخامس عشر. م.

النوافذ القروسطية الضيقة، الفراغات السوداء،
بساتين وأشجار حتى مخروط التلال.
لم يعد لدى الأمراء قصور ولا لدى
المنعزلين أديرة وأنت تتحركين في الأخاديد
كعالمة آثار للواقع،
ثمة نفق يتدفق منه الماء.